

ربع قرن على رحيل أجراء المفكرين التنويريين العرب

الصادق النيهوم مفكراً وأديباً ومقاتلاً لأجل حاضر عربي مختلف

من كل سطر كتبه النيهوم، سواء في أبحاثه أو أعماله الأدبية والموسوعية. وحين تنظر "العرب" اليوم إلى تلك الشاشنة المعرفية التي تضيء وتضج وهي تعرض مشاهد لمحمية فكرية يكادها الناس من بغداد إلى طرابلس، إلى بيروت ودمشق وصنعاء والخرطوم والجزائر والمساحات الشاسعة بين كل تلك المراكز الحضارية، وتستعيد النيهوم إلى قلب الصورة، فهي تستحضر ذكره محلاً لما سبق هذه اللحظة من مقدمات، وشاهداً على تحولاتها، ومبشراً بما سيليه من مآلات.

القائمة التي ستأتي. فعقل النيهوم كان يدرك أنه يستهدف مشاهد من حياة وتاريخ العرب والمسلمين في حالة صعود وهبوط مستمرة، وبالتالي فقد صمم لها في ما أتاحة له عمره القصير فضاءات تتحرك فيها مفكرة فيها ومحللة لتعقيداتها ومفككة لتفاصيلها. "الجهل مثل المعرفة كلاهما قابل للزيادة بلا حدود" كان هذا ميزان النيهوم، وقد صدق الصديق في توصيفه لتلك القيمة المسماة بالجهل. فازدياد المعرفة ليس خبراً جديداً. لكن تراكم الجهل جرس إنذار كبير كان يقرع عند الانتهاء

هل غاب الصادق النيهوم حقاً طوال ربع قرن من هذه اللحظة؟ يكاد المتابع لما يحدث على الخارطة العربية لا يصدق هذا. هل كان مفكراً مستقبلياً؟ هل كان متمرداً على الفكر الأصولي؟ أكان أصولياً في أعماقه كما يتهمه البعض؟ هل التبسست علاقته مع السلطة في بلاده مع فهمه للمادة التي كان يدرسها لطلابه "علم الأديان"؟ أسئلة كثيرة ما زالت تدور حول هذا الرجل الظاهرة الذي تمكن من طرح العديد من الأسئلة، ليس فقط على الجيل الذي عاصره، بل على الأجيال

بلد من القش يطفو فوق بحيرات من البترول



الحبيب الأسود
كاتب تونسي

من الشمس اللافحة إلى الثلج الحارق، مترواحاً بين أفكار واهتمامات ورؤى وخرافات وأسئلة ومواقف ولغات وحضارات وعقائد طالما المهمة القدرة على مواجهة قدره، بعد أن استشرى مستقبل بلده ليبيا بعيني زرقاء اليمامة ونبوءات عراف جيد قراءة الرمل إن ليبيا بلد مبني من القش ويطفو فوق بحيرات من البترول فما أسهل أن تندلع النار فيه، أن تحرقه من أساسه، ولكن ذلك لن يحدث الآن لأننا لم نكتشف النار بعد، نحن المساكين الموهولون في النار والعداء.

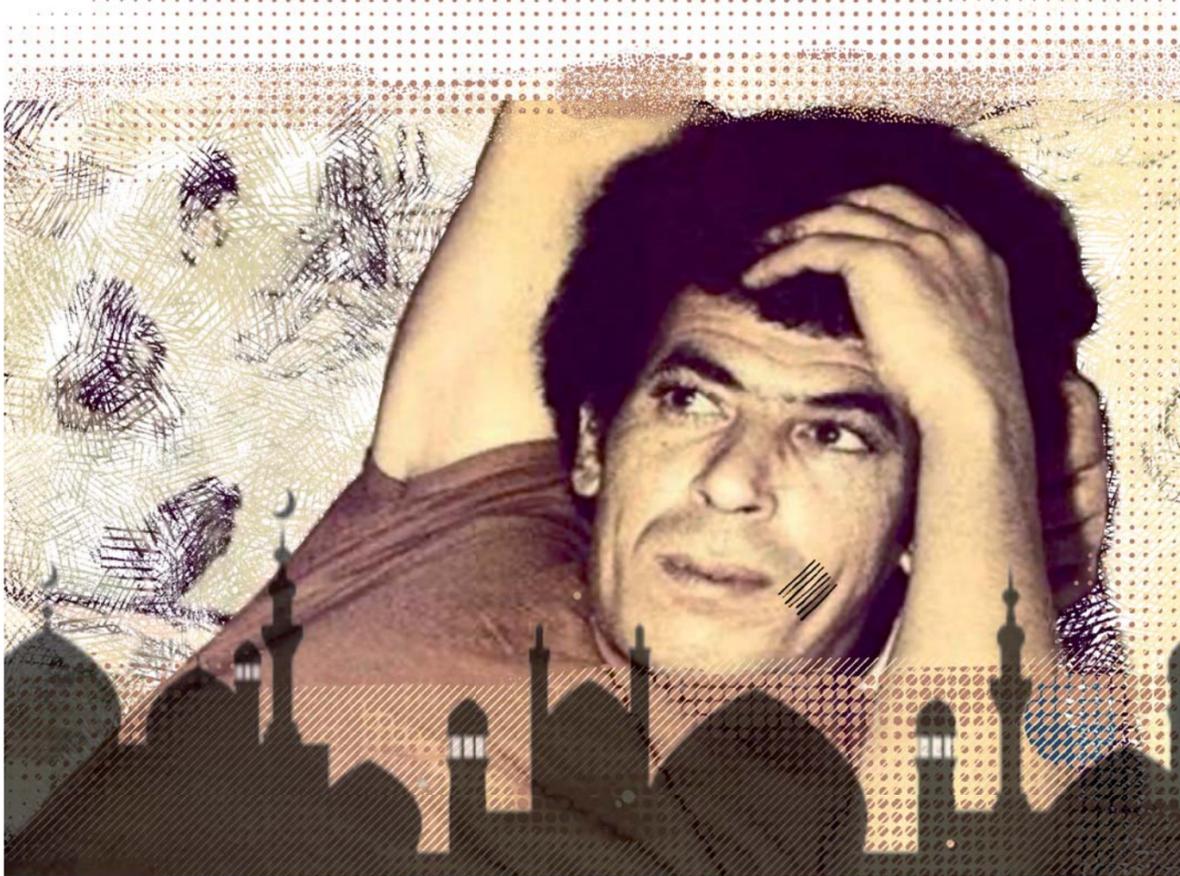
بعد رحيل النيهوم اكتشف الليبيين النار التي يحرقون بها بلادهم منذ سنوات، فالتطرف والإرهاب والصراع على السلطة وثقافة الغنيمية وعقلية الإقصاء والرغبة في احتكار الثروة المتدفقة من تحت رمال الصحراء القاحلة والتدخلات الخارجية، كل تلك العناوين تزيد من إضرار ليهب المعركة في البلاد، بينما «الرجال ما زالوا يفهمون الوطنية باعتبارها صراخاً غاضباً من إهمال الدولة وحدها، وتجميع الأكتاف المخجلة فوق أرصفة المقاهي في أيام العطلة، والجري خلال أشهر الصيف وراء مؤجري الشقق وباعة البنات على طول ساحل الفقراء مستعرضين حصيلتهم من مخدرات ليبيا، كان تلك النقود قد جاءت بطريق العرق الشريف» وفق تعبيره.

حتى الديمقراطية التمثيلية خلال الأحزاب التي ظهرت في البلاد بعد 2011، انتقدتها النيهوم باكرا، هو في هذه المسألة لا يختلف عن صديقه اللورد معمر القذافي الذي كان يجتمع معه في جملة أفكار، وصلت إلى حد الاعتقاد بتأثير حقيقي لكل منهما في مواقف وتجربة الثاني.

«أنا لست رجلاً مهتماً ولا صاحب سلطان ولكن إيماني بالله يجعلني أحسن بأنني ساظر بصداقة الكثير من الرجال الطيبين. وقد حدث ذلك وما زال يحدث كل يوم. وعندما تطووني غربتي وأحس بالآلم يؤذيني من كل جانب، أرفع رأسي إلى الله وأقول له إنني وحيد. أبداً لم يتخل الله عني، كان يمذني دائماً يعون ما، باصداقاً طبيين مثلكم، وسوف يفعل ذلك دائماً أيضاً، لأنه يعلم أنني لا أمك سواء، ولا أريد أن أمك سواء. أنا قوي بإيماني، أقوى من وحدتي وظروفي المحزنة، وإذا التقينا في يوم ما فسوف أقص عليكم ما الذي يستطيع رجل وحيد مثلي أن يفعله بالإيمان وحده».

بتلك الكلمات قدم صادق النيهوم نفسه، كان رجلاً ممتلئاً بالإيمان والوحدة، مهوماً بما حوله، متأسياً بالقلم والورقة، يكتب وفق قوله، بليلة الحناس المتينة، لأربعة آلاف ميل معاً بالشوق والأمانيات، للجزار وباعة العظام وسائقي عربات الأجرة والنقل، وللخبراء والطلبة.. أنا أكتب لكل من عرفهم، وليس ثمة ما يخيفني من أي اتجاه، فالنقد لا يشعري بالارتباك. وإذا كان أحد لا يفهمني الآن، فسوف يأتي رجل آخر ويفهمه كل أحد على الفور. أنا لا أريد أن أحقق شيئاً سوى أن أهيئ مكاناً لتلك الرجل القادم في الطريق. أجعله أكثر ألفة وأعطيه فرصة ليقرب خطوتين. ما يمدني بالقوة: أنا أعرف أنه قادم، وانت تعرف ذلك أيضاً».

سيكون على النيهوم أن يقضي الجانب الكبير من حياته غربياً في مآلات عدة، وبين مدن كثيرة، هاربا



بورتريه للنيهوم بوصفه صوت الناس للفنان الليبي محمد الزواوي

لكن تاريخ الثورات يشير بوضوح إلى أن الثورات احتواها دائماً هدف سياسي ما وسخرها لخدمته حتى أفرغت الثورة نفسها من محتواها الخلق في خدمة أغراضها السياسية. إن نبوءات النيهوم قبل عقود هي التي جعلته يشير إلى «أن ليبيا تحتاج إلى مدارس ولكنها تحتاج أكثر إلى حوار طويل ومتزن يتناول معظم بديهياتها بالنقاش، يتناول سلطة الرجل وسلطة الفقيه وسلطة كبار السن». هذا الكلام

ولكن فرص البناء المتاح هي التي تقدر ذلك وحدها.. وليس ثمة شك في أن الزمن أهم العوامل بالنسبة للبناء والهدم على السواء». فبناء المجتمع الحر يبدأ بكسر عزلة الفرد وكسب ثقته للخروج من مخبئة النفس. «أما الثورة فلا يحددها الشكل السياسي بل القيم الخلقية الكامنة وراء جميع أنواع النشاط الإنساني. إنها تحدث لكي تحقق قيماً خلقية وليس أهدافاً سياسية مجردة من هذه القيم،

يقول النيهوم «إن الديمقراطية الحزبية ليست فكرة طرأت على عقل مفكر، بل بيئة فرضتها ظروف الثورة الصناعية، لم تكن للأوروبيين يد في اختيارها، إلا بقدر ما كانت لهم يد في اختيار جلودهم أو لون عيونهم. ورغم أن شعوباً كثيرة أخرى، قد عدت إلى تقليدهم، فإن ذلك كان مجرد نوع من خداع البصر بوسائل الماكياج المؤقت. ولكن ما الحل؟ هو يرى أن «الشعوب لا يقاتلها الاستعمار ولا تحيئها الحرية،

الجزبية ليست فكرة طرأت على عقل مفكر، بل بيئة فرضتها ظروف الثورة الصناعية، لم تكن للأوروبيين يد في اختيارها، إلا بقدر ما كانت لهم يد في اختيار جلودهم أو لون عيونهم. ورغم أن شعوباً كثيرة أخرى، قد عدت إلى تقليدهم، فإن ذلك كان مجرد نوع من خداع البصر بوسائل الماكياج المؤقت. ولكن ما الحل؟ هو يرى أن «الشعوب لا يقاتلها الاستعمار ولا تحيئها الحرية،

أعمال الصادق النيهوم

- (أجزاء)
- موسوعة السلاح المصورة
 - "صوت الناس" دار الريس - لندن، 1990
 - "محنة ثقافة مزورة"، 1991
 - "الإسلام في الأسر"، دار الريس - لندن، 1991
 - "إسلام ضد الإسلام"، 1993
 - "نقاش"، تالة للطباعة والنشر، 2001
 - "طرق مغطاة بالثلج" (جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي)، دار تالة - طرابلس، 2001
 - "الحديث عن المرأة والديانات" (سلسلة الدراسات 1)، تالة للطباعة والنشر، 2002
 - "كلمات الحق القوية" (سلسلة المقالات 1)، تالة للطباعة والنشر، 2002
 - "أسئلة" (سلسلة المقالات 2)، تالة للطباعة والنشر، 2002
 - "الكلمة والصورة" (إعداد وتقديم سالم الكبتي)، تالة للطباعة والنشر، 2002
 - "قطعان الكلمات المضيئة"
 - وهي دراسة مقارنة مع معاصره الأديب خليفة الفاخري (محمد عقيلة العامي) 2003
 - "العدو في الداخل" (جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي)، 2010
 - "ماذا يريد القارئ؟" (جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي)، 2010

- "من مكة إلى هنا"، دار الحقيقة - بنغازي، 1970
 - "القرود"، دار الحقيقة - بنغازي، 1975
 - "الحيوانات"، الدار الجماهيرية - طرابلس، 1984
- النتائج الأخرى:**
- "بابا هيمونغواي" (ترجمة)، 1966
 - "موت رئيس جمهورية" (ترجمة)، 1967
 - "الذي يأتي والذي لا يأتي" (دراسة)، 1967
 - "الرمز في القرآن" (دراسة)، 1967
 - "العودة المحزنة للبحر" (دراسة)، 1969
 - "تعليق على مذكرات خرتشوف" (ترجمة)، 1971
 - "من قصص الأطفال" (قصص)، 1972
 - "فرسان بلا معركة"، دار الحقيقة - بنغازي، 1973
 - "تحية طبية وبعد"، دار الحقيقة - بنغازي، 1973
 - "موسوعة تاريخنا" (سنة أجزاء)، دار التراث - جنيف، 1977
 - "موسوعة بهجة المعرفة" - موسوعة عالمنا - موسوعة صحراننا - موسوعة أطفالنا - موسوعة وطننا (موسوعة عالمنا)
 - "أطلس الرحلات (8 أجزاء)، 1979
 - "موسوعة الشباب المصورة (8

المبدع الذي حارب الجهل



محمد عقيلة الغنماني
كاتب ليبيا

خمس وعشرون سنة مرت على رحيل الكاتب الفيلسوف الذي قال "ثم جاء البترول وأنقذنا من الموت جوعاً بين جيراننا ولكنه لم ينقذنا من مشكلاتنا القديمة، فالشعوب لا تكبر بالقصور وحدها".

رجل عنا صادق النيهوم، من بعد أن ابتعد ما اتفق عليه الكتاب والمثقفون العرب بـ"الظاهرة النهومية" تفرد في أسلوب كتابته، وصوره ونقده وسخره فاصبح مدرسة، خلقت جدلاً واسعاً، سرعان ما انتشر خارج حدود ليبيا.

سيرته الأدبية، وكتاباته انتشرت منذ سنة 1964 مع ظهور صحيفة الحقيقة الليبية، ونشر أول مقالاته (هذه تجرّيتي أنا) مع بداية الصدور اليومي لصحيفة الحقيقة. ومنها تواصل إنتاجه الأدبي والفلسفي بكتب تزيد عن 20 كتاباً غير ما كتب عنه.

في مطلع ستينات القرن الماضي انفكت ليبيا من فصائل الجوع الكافر، والفقر، وكانت المعركة المستحقة التالية هي مع الجهل الذي أورتته لنا خمسمئة عام من

العزلة التي فرضها الاستعمار التركي الذي لم يترك سوى مدرسة واحدة في العاصمة، وترك بقية البلاد مجرد مزرعة جرداء قالت عنها تقارير الأمم المتحدة، بعد الاستقلال، إنها ثالث أفقر دول العالم. صادق النيهوم وانطلق من كتابتها عبر مراحل التعليم نحو الجامعة الليبية، تخرج في كلية الآداب والتربية، قسم اللغة العربية، وعين معيداً في كلية الآداب، وتابع دراساته العليا في جامعة القاهرة، ومنها إلى ألمانيا، وأمريكا، واستقر في فنلندا لفترة وتزوج سنة 1966 من زوجته الأولى الفنلندية، ورزق منها بكريم وأمينة، وهناك عمل لفترة مدرساً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة هلسنكي من العام 1968 إلى 1972.

ثم أقام حتى سنة 1975 في بيروت، واصل كتاباته بمجلة الأسبوع العربي، وأشرف على إصدار موسوعة (عالمنا - صحراننا - أطفالنا - وطننا - عالمنا)، والحقها برواية (القرود)، انتقل إلى

الإقامة في جنيف العام 1976 وأسس دار التراث، ثم دار المختار، وأصدر سلسلة من الموسوعات، أهمها (موسوعة تاريخنا - موسوعة بهجة المعرفة)، وعمل بجامعة أستاذاً محاضراً في الآداب المقارنة. وتزوج للمرة الثانية من الفلسطينية أوديت حنا. كان يتقن عدداً من اللغات الأجنبية ويكتب في النقد الأدبي والمقالة الأدبية والقصة القصيرة والروايات ومقارنة الآداب والفكر، إلى أن توفي هناك يوم 15 نوفمبر 1994 ودفن بمسقط رأسه مدينة بنغازي يوم 20 نوفمبر 1994.

● شيوخ الفقر والجهل بين أغلبية الناس، ليس سبباً في تخلفهم، بل ترجمة حرفية له.

ببالحا بمجرد أن يتجرأ على إبداء شخصيته المختلفة، إن الجاهل حارس مقبرة غير مرئية.

● الجاهل لا يبيع بضاعته بالمنطق بل بالشعر وحده، إنه لا يقنع بفكرته بل يغريك بها، وإذا رفضت إغراءه يلجأ إلى تهديده وإذا رفضت تهديده انقطع عن علاقته بك عند هذا الحد، إنه لا يجيد استعمال الرباط الفكري ولا يعرف كيف يحشر يده داخل دماغك لكي يقنعك بحجته لأن هذه المعجزة لا تتم دون (الإقناع المنطقي) ولأن الإقناع المنطقي آخر بضاعة في حانوته المعبأ بالأشعار، فإنه عادة ينفذ يديه منك بان يقطع رأسك أو يكرهك في الخفاء. إن الجاهل لا يستطيع أن يسلك طريق النقاش المنطقي دون أن يفقد جهله، أعني يموت جائعاً ويمشي في جنازته ويتقبل تهاني المعزين.

● والمواطن الجاهل لا يعني أنه (المواطن غير الفعال) بل يعني المواطن الفعال في الاتجاه الخاطئ كما تنشط خلية السرطان في تحقيق المزيد من المرض.

● الجاهل ليس دماغاً أبيض مسوحاً، لا يضم في داخله سوى الفراغ، بل دماغ مليء حتى حافته بأشكال خاصة من المعارف الخاطئة.

● الجهل مخدر دائم الأثر، إنه لا ينتهي مثل باقي المخدرات عند حد تدمير صاحبه بل يمد أزرعه الشنيعة لكي يدمر كل شيء حوله في جميع الجهات.

